

بجاية حاضرة زواوة أنموذجاً للمدينة المتطورة

أ. مفتاح خلفات

أستاذ مكلف بالدروس بكلية العلوم الاجتماعية والإنسانية

- جامعة المسيلة -

توطئة:

صنفت المصادر التاريخية مدينة بجاية كإحدى أهم حواضر المغرب الأوسط في العصر الوسيط، وحسبنا دليلاً على ذلك ما حظيت به من اهتمام من لدن كتب الرحلة والجغرافيا، فقد دلت مضامين هذه المصنفات وعلى مساحات معرفية متنوعة؛ ما وصلت إليه المدينة من مظاهر التطور والتمدن الحضاري، بداية من العهد الحمادي (461 - 547هـ / 1061 - 1147م) إلى غاية نهاية العهد الحفصي، وذلك من منطلق خصوصية الموقع الجغرافي وما وفره من امتيازات ساعدت على بروزها ضمن شبكة المدن المغربية، إلى جانب ما اضطلعت به من مهام سياسية وإدارية واقتصادية جعلت منها حاضرة لسكان القبائل المقيمة في محيطها الجغرافي وبخاصة منها منطقة زواوة، التي شكلت نواة القاعدة الديموغرافية للمدينة التي شيدت بساحة قبائلها كما عبر على ذلك ابن خلدون⁽¹⁾، وقد أفاضت المصادر بقيمة الدور الذي كان لقبائل زواوة؛ التي شكلت رافداً قوياً في تنمية مظاهر التطور والازدهار الاقتصادي والثقافي الذي عرفته مدينة بجاية.



أ- جذور التأسيس:

دلت المواقع المكتشفة من قبل بعض الباحثين والأثريين على الحضور السياسي لمدينة بجاية في عصور ما قبل التاريخ، عندما اكتشف "M.A de bruce" ما بين (1902 - 1906) مغارة "علي باشا" على بعد ألف وخمسمائة متر من البحر أسفل جبل قورايا، إلى جانبها مغارة حصن كلوزال، وكذا مخابئ الإبر شمال شرقي بجاية، وموقع قمة القردة التي كوّنت الأرضية البشرية الأولى من فصيلة إنسان مشتي العربي [سطيف] الأيرومورسي والإنسان القبصي.⁽²⁾

وقد حدد بطليموس موقع المدينة بـ 22 درجة طولاً و 32 دقيقة عرضاً،⁽³⁾ بينما ضبطها أبو الفداء عماد الدين إسماعيل (ت 732هـ / 1331م) عند 34 درجة و 48 دقيقة عرض شمالي، و 50 دقيقة طول شرقي.⁽⁴⁾

وينسب تأسيس المدينة حسب النصوص التي أوردتها كتب الجغرافيا إلى الفينيقيين⁽⁵⁾ الذين أطلقوا عليها اسم "صلدة Salda"، ثم إلى صلداي Saldae عندما دخلت في حكم الرومان سنة 104 ق.م،⁽⁶⁾ ولقد لعبت المدينة عبر مينائها الصغير دوراً اقتصادياً هاماً إلى أن خربها الوندال سنة 430م، وعرفت في عهدهم باسم "Gour" غور⁽⁷⁾ أي: الموقع الصخري⁽⁸⁾ أو الجبل الصخري⁽⁹⁾، ثم استولى عليها البيزنطيون سنة 533م عندما احتلوا شمال إفريقيا.⁽¹⁰⁾

لكن المؤسف أن المصادر التاريخية تلوذ بالصمت حيال هذه المدينة خلال القرون الأربعة الأولى التي أعقبت الفتح الإسلامي لبلاد المغرب،⁽¹¹⁾ إذ لم يرد



أ. مفتاح خلفات

حولها إلا بعض الإشارات القليلة؛ منها ما ذكره ابن حوقل على أنها مرسى بين بونة وجزائر بني مزغناي⁽¹²⁾، وتحدث عنها البكري؛ بأنها مدينة أزلية عامرة بأهل الأندلس ولها مرسى مأمون وهو ساحل قلعة أبي طويل، ويستفاد مما ذكره أيضاً أن هذه المدينة بدأت تأخذ مكانتها التجارية قبل العصر الحمّادي⁽¹³⁾، حيث أشار إلى وجود نهر كبير بشرقها تدخله السفن محملة بأصناف البضائع؛ مما يعني أن ازدهارها اقترن بانتقال الحمّاديين إليها سنة 461هـ/1068م⁽¹⁴⁾، والذي تزامن مع توطن عدد كبير من قبائل "بسليم وهلال" ببلاد المغرب، الأمر الذي يقودنا إلى طرح السؤال التالي: هل بروز بجاية كعاصمة سياسية للدولة كان تحت تأثير دخول الهلاليين؟

الواقع أن هجرة بني هلال إلى بلاد المغرب مع مطلع القرن 5هـ/11م قد أحدثت تغييراً كبيراً في بنيته العمرانية والديموغرافية بعد أن تمكنت القبائل من اكتساح معظم بسائطه الداخلية، فبينما فضل بنو سليم الاستقرار في طرابلس وما حولها من الأراضي الليبية، تقدم بنو هلال باتجاه إفريقية؛ إذ كانت المقصودة بهذه الحملة كما سبقت الإشارة إلى ذلك؛ فتغلبوا عليها سنة 449هـ/1057م بعد الانتصار على المعز بن باديس (406-454هـ/1016-1062م) في معركة حيدران سنة 443هـ/1052م⁽¹⁵⁾، والتي مهدت لهم الطريق إلى القلعة بعد أن تمكنوا مرة أخرى من إلحاق الهزيمة بالناصر بن علناس في موقعة سببية سنة 457هـ/1068م⁽¹⁶⁾.

ومع أن المصادر لم تشر إلى اكتساحهم للقلعة لحصانتها الطبيعية إلا أنها بالمقابل أفاضت بالحديث عن إفسادهم وضررهم بالقبائل المحيطة بها في كل من طبة والمسيلة⁽¹⁷⁾، وقد انعكس ذلك سلباً على المناخ السياسي العام بشيوع الفوضى وانعدام الأمن لاسيما مع انتشار ظاهرة اللصوصية وقطاع الطرق الذين



أحكموا سيطرتهم على مسالك التجارة⁽¹⁸⁾، هذا إلى جانب ما كان يقدمه الأمراء والملوك من الإتاوات إلى شيوخ القبائل الهلالية نظير إعطائهم حق التصرف في أوطانهم على حد تعبير ابن خلدون.⁽¹⁹⁾

ولعل أبرز معالم التحول الذي عرفه المغرب الأوسط بعد الهجرة الهلالية خلال القرن 5هـ/11م؛ هو الاختلال الحاصل في عملية التوازن الديموغرافي بين الداخل والساحل من جهة، وبين المدينة والبادية من جهة أخرى، لذا لم يعد من الممكن أن يستمر وجود القلعة التي عانت من اختناق كبير نتيجة حركة التوطن الهلالي، الذي شمل فضاء جغرافياً واسعاً في محيط المدينة، يُضاف إلى ذلك أن الهلاليين أنفسهم لم تكن لهم القدرة على تقبل فكرة السلطة أو سيادة الدولة المركزية بحكم طابع البداوة والانتجاع التي تميزوا بها⁽²⁰⁾.

ونستنتج من خلال عرضنا لهذه القرائن أن انتقال الناصر بن علناس إلى ساحة زواوة لاختطاط المدينة،⁽²¹⁾ كان من منطلق التخلص من طوق الهيمنة الذي فرضته القبائل الهلالية حول القلعة، يؤيد هذا ما ذكره ابن خلدون بقوله: «ولم يزل هذا دأبهم؛ حتى لقد هجر الناصر سكن القلعة واختط بالساحل مدينة بجاية».⁽²²⁾

لكن السؤال المطروح: لماذا اختار الناصر بجاية دون غيرها من المواقع الساحلية؟ إن الإجابة عن أسباب اختيار بجاية كعاصمة جديدة للحمايين؛ نقرأه في الرواية التي أطلعنا عليها ابن الأثير الذي أرجع فكرة بنائها إلى محمد بن البعبع وزير تميم بن المعز (454-201هـ/1062-1107م)، فبعد انتكاسة سيبية سنة 457هـ/1065م، تفتن الأميران الزيري والحمادي إلى ضرورة إعادة العلاقات

بينهما، فبعث تميم وزيره ابن البعبع الذي أثر الانحياز إلى الناصر بن علناس، ووشى إليه في أمر وزيره أبي بكر بن الفتوح بما تأمر به مع تميم، ثم عرض عليه فكرة بناء بجاية وبين له مزاياها منها قربها من إفريقية.⁽²³⁾

لكن مع تسليمنا بهذا التخريج وهو "خاصية قرب بجاية من بلاد إفريقية، دار غريمه التقليدي ابن زيري؛" إلا أن ذلك لا يبدو في تقديري سببا كافيا؛ لأن التأمل في "جغرافيا الموقع" يلاحظ بأن هناك مزايا عدة اختصت بها بجاية دون غيرها من المناطق يمكن أن نلخصها في النقاط التالية:

أولاً: الحصانة الطبيعية لبجاية التي يمكن أن تشكل ملجأ آمناً وموطناً ضد توسّعات الأعراب الهلالية التي تتوقّف عند الجبال التي يخترقها وادي المالح باتجاه الجنوب الغربي لمدينة سطيف، كما أكد على ذلك الإدريسي في قوله: «هاهنا تصل غارات العرب وضررها».⁽²⁴⁾

ثانياً: استجاب الموقع من الناحية الاستراتيجية لبعض "الأسس التقليدية" التي ألفها الحماديون، فكما كانت القلعة في سفوح جبل عجيسة؛ للاحتماء، فإن الأمر كذلك بالنسبة لبجاية التي شيدت عند سفوح جبل آمسيون.⁽²⁵⁾

ثالثاً: تبدو بجاية أقرب المواقع الساحلية لقلعة بني حماد اعتباراً لما قاله البكري بأنها تمثل ساحل قلعة أبي الطويل⁽²⁶⁾، لاسيما وأن الناصر لازال في حاجة إلى عاصمته الأولى بدليل أنه ترك بها ابنه المنصور (481 - 498 هـ / 1089 - 1104 م) الذي لم يغادرها إلا سنة 483 هـ / 1085 م.⁽²⁷⁾



رابعاً: إن اختطاط المدينة في وسط قبائل صنهاجة المستقرة مثل قبيلة بجاية وبني سدويكش وكتامة وزواوة يمكن الاطمئنان إليها من الناحية السياسية بتطويعها مستقبلاً لسلطة الدولة.⁽²⁸⁾

خامساً: التفتح على التيارات الخارجية والاتصال المباشر بمراكز الاقتصاد والحضارة في الحوض الغربي للمتوسط، لاسيّما منها الأندلس إذ لا يفصلها على طرفوشة من شبه الجزيرة الأندلسية إلا ثلاثة مجاري حسب تعبير القلقشندي.⁽²⁹⁾

ومجمل القول: إنّ بناء مدينة بجاية كان استجابة لخصوصية المرحلة التي كان يمرّ بها المغرب الأوسط بعد دخول الهلاليين وبخاصة في محيط قلعة بني حماد، لذا كان من الضروري اللجوء إلى التجارة البحرية لتأمين موارد اقتصادية للدولة، لاسيّما وأن مرسى المدينة كان يرتبط بعدة موانئ على طول الشريط الساحلي لبلاد المغرب كما أشار إلى ذلك ابن حوقل،⁽³⁰⁾ وهو ما أدركه الناصر حسب رواية ابن الأثير الذي عبّر على ذلك بقوله: «فلما وصل الناصر والرسول إلى بجاية أراه موضع الميناء والبلد والدار السلطانية، فأمر الناصر من ساعته بالبناء والعمل».⁽³¹⁾

ب- بجاية دارا لقبائل زواوة:

أسلفنا القول بأن سكان قبائل زواوة الذين استوطنوا بجاية شكّلوا رافداً في تقوية النسيج العمراني ونمو الحركة الديموغرافية بالمدينة، لكن حسب ما يستشف من بعض النصوص التاريخية أن هذه العملية تمّت على مرحلتين:

الفترة الأولى (مرحلة القرن 5-6هـ/11-12م):

وكانت بتشجيع من الناصر بن علناس (454-481هـ/1062-1089م) وابنه المنصور (481-498هـ/1089-1104م) اللذان عملا على استقطاب سكان البادية التي تقع في المحيط الجغرافي للمدينة، لاسيّما من منطقة زواوة.⁽³²⁾

وقد فسر ابن خلدون في مقدمته هذا النزوح إلى جانب ما قدّمه الناصر من امتيازات جبائية برغبة أهل البادية في تحقيق تطلعاتهم الاقتصادية بالبحث عن مواطن أخرى للاستزاق بامتهان حرفة معينة تستجيب لمطالباتهم المادية،⁽³³⁾ كما لا يمكن أن نستبعد أن تيار الهجرة نحو بجاية قد ارتبط عملياً بتعمير الهلالين للمناطق الداخلية، وهو ما نلمسه بالنسبة لسكان مشدّالة وحمة.⁽³⁴⁾

ومن الشواهد التي تعكس حجم تواجد الزواويين ببجاية خلال هذه الفترة هو دفاعهم عنها ضد الغزو الموحدّي سنة 547هـ/1148م، مما يعطي الدليل على أنهم شكّلوا شريحة عريضة في المجتمع البجائي، وأن ذودهم كان من منطلق شعورهم بأنهم أهل المدينة.⁽³⁵⁾

الفترة الثانية: (فترة القرنين 7-8هـ/13-14م):

والتي أعقبت سقوط دولة الموحّدين، وكانت بجاية خلالها تتردّد بين التبعية والاستقلال عن النفوذ الحفصي نظراً لحالة الانقسام والصراعات السياسية بين أمراء الدولة الذي استمر لعدة سنوات؛ مما شجّع على تدفّق عدد كبير من الأسر الزواوية إلى حدّ بلغ بابن خلدون إلى وصف المدينة بأنها صارت "داراً لزواوة".⁽³⁶⁾

وحسبنا أيضاً أنّ القاضي أحمد بن العباس الغبريني (ت704هـ/1304م) كان كبير بجاية ومقدم شوارها على حدّ تعبير ابن قنفذ،⁽³⁷⁾ وأن أبا زكريا يحيى الزواوي صار كبير المشيخة العلمية بالمدينة.⁽³⁸⁾

وفي نفس السياق أكّدت الدراسات الحديثة أن تقسيم سكان منطقة بجاية وما حوّلها إلى قبائل كبرى (زواوة) وأخرى صغرى (منطقة بجاية)، ما هي في



الحقيقة إلا تطبيقا لشعار "فرّق تسد" الذي رافق الاستعمار الفرنسي في جميع البلدان التي احتلّها،⁽³⁹⁾ مما يؤكد مرة أخرى أن مدينة بجاية كانت حاضرة لبادية زواوة. محاولة لتقديم سكان بجاية:

خصّ لفيف من الباحثين الأوروبيين موضوع "الديموغرافيا التاريخية" بدراسات مستقلة؛ منها ما قام به "ليوبلدو بالباس توريس" Leopodo Torres Balbas في كتابه؛ الأول صدر سنة 1955 بعنوان: "Extension y. demografia de las ciudades lospanamusulmanes studia Islamic" والثاني بعنوان: "Esquema demografia de la ciudad de grauda Al-andalus".

ومن جهته صنف "ألكسندر ليزين" Alexandre lezine عن مدن إفريقية في مؤلف خاص صدر سنة 1969 في ثلاثة أجزاء عنوان: "Sur le population des villes africaines antiquites Africaines".

وفي نفس السياق أيضا بحث "شارل بلات" Charles Pellat في عدد الولادات ونسبة النمو الديموغرافي في عهد الرسول ﷺ صدر في مقالين الأول: "Peut-on comraitre detaux de notalite au temps du prophète à la "Quelques chiffres sur la vie moyenne - recherche d'une méthode" d'une catégorie de musulman mélange d'islamologie"⁽⁴⁰⁾.

وقد كانت هذه الدراسات الأساس الذي نسجت على منواله الكثير من البحوث الاجتماعية، منها تلك التي قام بها مركز الدراسات والبحوث العثمانية والموريسكية والتوثيق والمعلومات "Ceromdi" بعنوان "الديموغرافيا التاريخية في



تونس والعالم العربي"،⁽⁴¹⁾ ومن جهتنا سنتناول البحث في الموضوع بالنسبة لسكان بجاية وإن كنا نقر بصعوبة الوصول إلى نتائج دقيقة ومركمة، في غياب السند الوثائقي الذي هو صمام الأمان في مثل هذه الدراسات ذات الصلة بالجانب الاجتماعي.

إلا أننا نطمح إلى تذليل هذا المعطل باستغلال كل النصوص الواردة في كتب التراجم والجغرافيا على غرار "عنوان الدراية" للغبريني، "صبح الأعشى" للقلقشندي (ت 821هـ / 1418م)، و"وصف إفريقيا" لحسن الوزان (ت 957هـ / 1550م)، وكتاب "إفريقيا" لمارمول كرنجال في القرن العاشر هجري السادس عشر ميلادي.

تشير أغلب المصادر التي تحدثت عن بجاية في العهد الحفصي، أن هذه المدينة كانت تعد من أكبر حواضر المغرب الأوسط ازدحاما بالسكان،⁽⁴²⁾ يؤيد هذا ما ذكره أبو علي المريني، ففي معرض حديثه عن المهاجرين الأندلسيين الذين دخلوا بجاية⁽⁴³⁾ في عهد السلطان عبد العزيز (796 - 837هـ / 1394 - 1434م)، أشار إلى أن هذا الأخير لم يجد فضاء لتوطينهم إلا بجوار قبر السبوكي لأنه لم يعد ممكنا أن تجد لهم مكانا داخل المدينة، لكن بالمقابل فإن المصادر الجغرافية المتأخرة لاسيما منها كتاب "وصف إفريقيا" لحسن الوزان تنافي هذا الطرح، إذ عدد سكانها نحو ثمانية آلاف كانوا في القسم المأهول منها فقط، لكن لو امتلأت حسب تعبيره لفاق العدد أربعة وعشرين ألف، وهو الرقم الذي أكده أحد الباحثين في دراسة له عن بجاية.⁽⁴⁴⁾

إن ما يمكن أن نستشفه من خلال هذه الإحصائية أن طاقة استيعاب المدينة من السكان حسب تقدير الوزان هو أربعة وعشرون ألف، وأن العدد الحقيقي في وقته أوائل القرن 10هـ / 16م هو ثمانية آلاف دار فقط، لاشك أن هذا التراجع قد

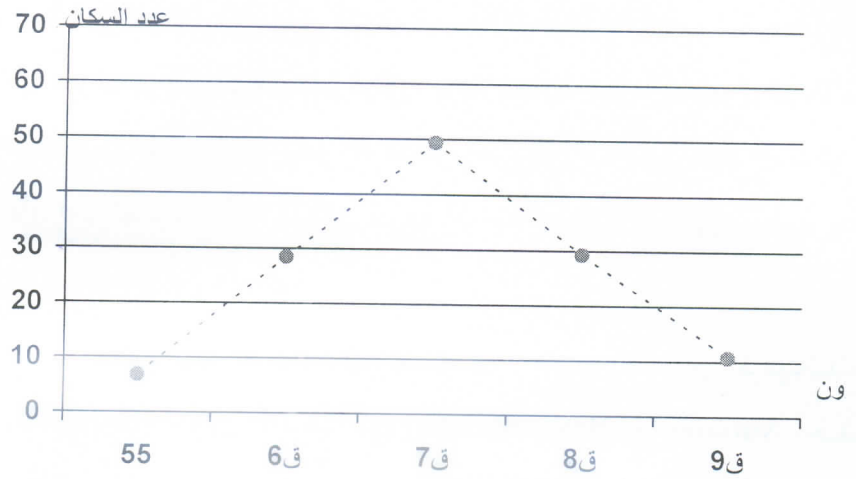


ارتبط عمليا بالاحتلال الإسباني للمدينة سنة 910هـ/1512م؛ مما يعطي الدليل على أنها تعرضت لاستنزاف ديموغرافي، يؤيد هذا ما ذكره "مارمول كرنجال" الذي أعاد علينا نفس الرقم الذي يبدو أنه مأخوذ عن الوزان، لكن بدل أن يذكر ثمانية آلاف دار قال ثمانية آلاف ساكن فروا أمام القائد الأسباني "بيدرو نافارو"، وعجزوا في الدفاع عن مدينتهم.⁽⁴⁵⁾

كما تعكس نص الرسالة التي بعث بها الملك الإسباني فرديناند (861-922هـ/1452-1516م) إلى أنطونيو دي رافندا Antonio De Ravanda أحد أفراد البيت الحاكم والمؤرخة في 23 أكتوبر 1511م/917هـ، حجم معاناة سكان بجاية الذين كانوا يفرون من المدينة جاء فيها: «إن عدد سكان بجاية ينخفض كل يوم...» ويضيف: «... لذا عليك أن تضع ضمن مشاغلك الرئيسية إعادة سكان المدينة الأصليين الذين ابتعدوا عنها... وإذا طلبوا أن لا نجبرهم على اعتناق المسيحية ورغبوا في ضمانات فافعل ذلك».⁽⁴⁶⁾

وتقوم شهادة أحد الرحالة دليلا إضافيا على ما خلفه الاحتلال الإسباني من خراب للمدينة وهو يشير إلى ذلك بقوله: «وبجاية إلى الآن خراب هدمها النصاري».⁽⁴⁷⁾

والواقع أن بجاية لم تعرف تراجعاً سكانياً بل انهياراً ديموغرافياً كما عبّر عن ذلك أحد الباحثين،⁽⁴⁸⁾ ويمكن تمثيل ذلك في الرسم الآتي بناء على المعطيات التي سبقت الإشارة إليها:



ومع ذلك لا يجب أن نسلم بأن الأرقام التي أمدنا بها الوزن تعكس فعلا عدد سكان بجاية خلال العهد الحفصي، لكن مع الأسف ليس لدينا خيار آخر إلا اعتمادها لحساب سكان المدينة مستندين إلى بعض الدراسات الحديثة التي بحثت في نفس الموضوع، منها دراسة لروجي مولى R.Mols في كتابه "مدخل للديموغرافيا التاريخية"؛ والتي أفرد فيها دراسة لسكان مدن أوروبا وجدّ فيها "ضاريا" موحدا لمجموع أفراد الأسرة الذي لا يقل عن خمسة أفراد بالنسبة للمدن الداخلية، ولا يتعدى 6 أفراد للمدن الساحلية على اعتبار أنها تشكل مناطق استقطاب للسكان⁽⁴⁹⁾

ودون أن نعاود نفس الطريقة التي اتبعها أحد الباحثين في دراسته، والتي نسجها على النحو الذي قام به بلات Pllat في بحثه عن معدلات النمو بالنسبة لقبيلة قريش، فإني أكتفي بالرقمين اللذين أفادنا بهما ليون الإفريقي مع اعتماد الضارب الأسري الذي هو "6" مع مراعاة خصوصية الأسر المسلمة، سواء من



الناحية الدينية، أو الاجتماعية والتي تضم عادة إلى جانب الأب والأم والإخوة والأخوات زوجات الأبناء وأبنائهم أيضا⁽⁵⁰⁾؛ أو ما يعرف بالأسر الممتدة⁽⁵¹⁾، لذا سنعمل على إضافة رقمين للمعدل المقترح، ومنه تكون حصيلة هذه المعادلة على الشكل التالي:

$8000 \times 8 = 64.000$ ألف ساكن، وهو رقم قريب من عدد سكان تونس الذي قدّر بنحو ثمانون ألف ساكن⁽⁵²⁾؛ فيما لو اعتبرنا ما قاله العمري بأن بجاية مثل تونس في الرتبة والحال⁽⁵³⁾.

أما بالنسبة للعديدين الآخرين اللذين أمدنا بهما ليون الإفريقي ومارمون كرنجال، فتكون حصيلة الأول $24000 \text{ دار} \times 80 = 192.000$ ألف، أما الثاني: $20000 \times 8 = 160.000$.

ومع أن نتائج هذه الأرقام تشي بكثير من المبالغة لاسيما وأنها كانت لفترة متأخرة (أي نهاية القرن 9هـ/15م)، لا يجب أن نهملها تماما على اعتبار ما جاء في نص الرسالة الذي أشار إلى تناقص عدد السكان كل يوم هذا دون حساب عدد القتلى أو الذين يؤخذون في الأسر، ومع ذلك تبقى هذه الإحصائية رغم نسبتها أرقاما افتراضية لا أكثر، إلا أن ثمة قرائن أخرى يمكن أن تشكل معينا في تقدير عدد السكان.

ج- ظاهرة التلازم بين توسع جغرافيا العمران المدني وتنامي القاعدة السكانية:

دلت مصادر الفترة موضوع البحث أن دور المدينة قد تجاوزت خلال القرن 7هـ/13م السور الحمادي القديم، فقد ذكر الغبريني في عنوانه: أن الناس كانوا

ينزلون حومة المذبح من جهة ربضها لشراء الأسرى،⁽⁵⁴⁾ ويضيف بأن للمدينة ثلاثة أرباض خارج السور وهي: ربض بجاية،⁽⁵⁵⁾ حومة بئر مسفرة بالمقبرة المعروفة بأبي علي رسمية خارج باب البنود،⁽⁵⁶⁾ حومة رابطة المئني،⁽⁵⁷⁾ وقد أشار العمري من جهته بأن الربض يقع خارج المدينة القديمة قد أحيط بسور آخر ضام لنطاق المدينة فصار كالشيء الواحد.⁽⁵⁸⁾

ويستفاد من مضمون هذه النصوص أن بجاية عرفت توسعا كبيرا في مجال العمران، ربما وصل درجة أن السلطان عبد العزيز كما سلف الذكر لم يجد مكانا لإسكان المهاجرين الأندلسيين إلا خارج المدينة.

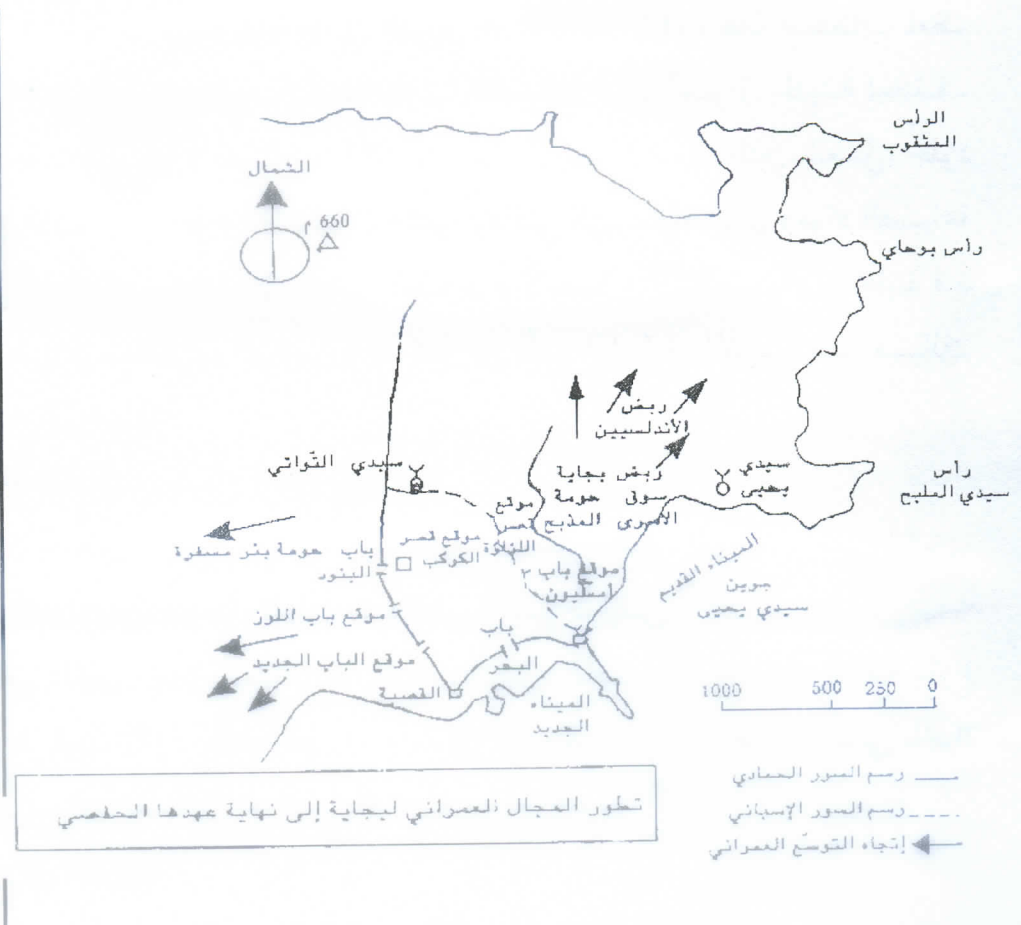
إلى جانب ذلك فإن المكانة التي تبوّأها بجاية خلال العهد الحفصي، وما اضطلعت به من مهام ووظائف سياسية، إدارية، اقتصادية، ثقافية جعلت منها منطقة استقطاب لعدد كبير من السكان، وقد أشادت المصادر الجغرافية بمكانتها كعاصمة إقليمية ثانية بعد تونس، فوصفها الإدريسي بالمدينة القطب⁽⁵⁹⁾.

وعبر العبدري عن إعجابه بها فقال: «مدينة بجاية مبدأ الإتقان والنهاية وهي مدينة كبيرة حصينة منيعة شهيرة، برية، سنية، سرية، وثيقة البنيان، عجبية الإتقان، رفيعة المباني»⁽⁶⁰⁾، ونعتها خالد البلوي بنادرة الدهر وأثيرة النفوس.⁽⁶¹⁾

وتأتي أهمية المدينة أيضا بما احتوته من هياكل عمرانية من القصور والأبراج مثل قصر الربيع، الكوكب، وقصر الولؤ، ميمون، وقصبة البلد، وزوايا ومساجد،⁽⁶²⁾ وعدّها إحدى عشر بابا؛ منها: باب البحر، باب المرسى، باب

كما ضمت المدينة نحو أربعة مقابر منها مقبرة أبي علي رسمية، ومقبرة زاد رخص بحومة باب أمسيون، ومقبرة أبي محمد عبد الله أبي حجاج خارج باب أمسيون، ومقابر باب الدباغين.⁽⁶⁴⁾

ويمكن أن نقرأ كل هذه المعطيات في الخريطة التالية: (65)



ومجمل القول أن كل ما قدمناه من قرائن وشواهد تاريخية يمكن أن تؤكد الرقم الذي قدمناه حول سكان مدينة بجاية كحاضرة لمنطقة زواوة، بما تضمنه مجالها الجغرافي من عمران ومرافق إدارية وثقافية، التي ساعدت على استقطاب عدد كبير من السكان ومن مختلف الأعراق والأجناس.

هـ- بجاية القطب الاقتصادي في شبكة المدن المغربية:

شكلت مدينة بجاية ما بين القرنين 6 - 8هـ/ 12 - 14م منطقة استقطاب لمعظم تجار قبائل زواوة واعتبرت باديته خزاناً اقتصادياً تمون أسواق المدينة بمختلف المنتجات الزراعية والصناعية؛ نذكر من بينها: الزيت، الزيتون، التين، العسل، جلود الحيوانات، ومن المواد الصناعية: الخشب ومادتي الزيت والقطران ومواد الصباغة التي تصدر عبر مينائها إلى أقاصي البلدان والأمصار،⁽⁶⁶⁾ لاسيما وأن بجاية قد ارتبطت في معاملاتها التجارية بعدد كبير من المدن الشرقية والمغربية عبر مسالك بحرية وبرية منها:

الخط الشرقي، ويشمل خطين تجاريين:

الأول ساحلي: يربطها بالإسكندرية، بجاية، جيجل، القل، البونة، مرسى الخزر، بنزرت، تونس، سوسة، المهدية، صفاقص، قابس طرابلس.⁽⁶⁷⁾

الثاني داخلي: بجاية، سطيف، قسنطينة، الأربس، القصيرين، وعند هذه النقطة يتفرع إلى طريقين: الأول باتجاه القيروان ومنه إلى المهدية على الساحل، والثاني باتجاه الجنوب نحو قفصة إلى غدامس باتجاه الصحراء الجنوبية.⁽⁶⁸⁾

الطريق الغربية:

الأول ساحلي: يربط بين بجاية ومراكش يمر بميناء دلس، جزائر بني مزغنة، وهران⁽⁶⁹⁾، ثم سبتة.

الطريق الداخلي: بجاية، المسيلة، الشير، تلمسان، سجلماسة، ثم إلى فاس أو مراكش،⁽⁷⁰⁾ هذا إلى جانب دول شمال البحر الأبيض المتوسط، ويمكن أن نوضح ذلك على الخريطة التالية:





ويُتضح من خلال شبكة الطرقات البرية أن مدينة بجاية قد استفادت كثيرا مما يرد إليها من البضائع من مختلف المدن المغربية والمشرقية، وهو ما أشار إليه الإدريسي بأن أهلها كانوا يجالسون تجار المغرب الأقصى والصحراء وتجار المشرق،⁽⁷¹⁾ ومن جهته أكد ابن بطوطة أنه التقى في طريقه إلى الحج بقافلة من تجار تونس متجهة إلى بجاية.⁽⁷²⁾

وفي نفس السياق أشار كل من ابن حوقل والقلقشندي وحسن الوزان إلى ازدهار الحركة التجارية بين بجاية وبلاد السودان عبر المسلك الجنوبي، إذ تأتيها الجلود المفضلة من غدامس،⁽⁷³⁾ والعييد والذهب من مدينة كاغو ومملكة يورنو،⁽⁷⁴⁾ وأحيانا يبادلون الخيول البرية بالعييد السود فيأخذون عن كل فرس بربري خمسة عشر أو عشرين عبدا،⁽⁷⁵⁾ وقدر مبلغ كل فرس ما بين أربعين وخمسين مثقالا من الذهب،⁽⁷⁶⁾ ويحقق بذلك هؤلاء التجار ثروات طائلة جراء هذه العملية وهو ما عبّر عنه ابن خلدون بقوله: «وتجد التجار الذين يولعون بالدخول إلى بلاد السودان أرفه الناس وأكثرهم أموالا لبعدهم طريقهم ومشقته واعتراض المفازة الصعبة... فتجد السلع ببلاد السودان قليلة لدينا فتختص بالغلاء وكذلك سلعنا لديهم فتعظم بضائع التجار من تناقلها ويسرع إليهم الغني والثروة»⁽⁷⁷⁾، وحسبنا دليلا أيضا ما أفادنا به ابن حوقل في رواية عن أحد تجار سجلماسة قوله: «رأيت بأودغست صكا فيه ذكر حق لبعضهم على رجل من تجار أودغست وهو من أهل سجلماسة باثنين وأربعين ألف دينار وما رأيت ولا سمعت بالمشرق لهذه الحكاية».⁽⁷⁸⁾



وتبدو أهمية البضائع المنقولة من بلاد السودان والصحراء عموما لكثرة الطلب عليها من قبل التجار الأوروبيين من جنوة، بيزة، البندقية، ومرسيليا وبرشلونة، غرناطة، وجزر البليار، الذين كانوا يفضلون الاستقرار في فنادق المدينة لأجل هذا الغرض.⁽⁷⁹⁾

وتقدم لنا المصادر الجغرافية لائحة بأنواع السلع التي يكتنيها الأوروبيون من أسواق بجاية؛ يأتي في مقدمتها العبيد؛ إذ كانت تباع ببيضاوان اللواتي يؤتى بهن من أوروبا الشرقية والجزر الرومانية بواحدة من الوحش حسب رواية الغبريني،⁽⁸⁰⁾ هذا إلى جانب معدن الذهب،⁽⁸¹⁾ والصوف، وفروة الجلود، ومواد الدباغة، والشموع التي انفردت بجاية بصنع أجودها، ومن المواد الفلاحية والفواكه المجففة كالزبيب، والتين وغيرها من المواد.⁽⁸²⁾

وبالمقابل ينقل هؤلاء التجار أصنافا من البضائع من القطن، وأنواع الأقمشة التي تحمل منها إلى أقاصي المدن الإفريقية حسب ما لاحظ ذلك حسن الوزان.⁽⁸³⁾

ومجمل القول فإن مظاهر التطور والثراء الاقتصادي الذي عرفته بجاية خلال العهد الحفصي، قد انعكس نفعه على معظم شرائح المجتمع إلى جانب سكان القبائل المحيطة بها، وبخاصة منطقة زواوة التي وجدت في أسواق المدينة فضاء للترويج لمنتجاتها الزراعية والصناعية (الحرفية منها)، وفي نفس الوقت أمنت كل ما تحتاج إليه من السلع الوافدة إلى المدينة.

تأطير فقهاء زواوة للحياة العلمية ببجاية:

كشفت كتب التراجم والنوازل الفقهية دور علماء زواوة في تأطير الحياة العلمية ببجاية، حيث ترجم الغبريني في عنوانه لثمانية علماء أصيلي منطقة



أ. مفتاح خلفات ❁

زواوة،⁽⁸⁴⁾ هذا فضلا عما حشده الونشريسي من الأجوبة الفقهية عن نوازل كانت ترد إلى حاضرة بجاية ويحيب عنها علماء زواوة أمثال: ناصر الدين المشذالي (ت731هـ/1331م)، وأبي العباس أحمد الغبريني (ت704هـ/1304م)، وأبي القاسم وأبي عبد الله المشذاليين من أعلام القرن 9هـ/15م، وقد شملت مختلف جوانب الحياة الدينية والاجتماعية والاقتصادية،⁽⁸⁵⁾ إلى جانب تصدرهم لمجالس العلم والإمامة في المساجد ومنابر الخطابة.

الخاتمة:

ونستنتج من حصاد ما سبق أن بجاية عكست أمودجا للمدينة المتطورة في بادية زواوة، وأن هجرة عدد كبير من سكان قبائلها إلى بجاية جعل منهم سندا ودعما قويا ساهم إلى حد بعيد في صناعة تاريخها الاقتصادي والثقافي، وبروزها كقطب لمدن المغرب الأوسط، وهو ما أشارت إليه تقارير كبار الرحالة والجغرافيين،⁽⁸⁶⁾ لما كانت لها من العلاقات التجارية التي تربطها بمختلف المدن المغربية والمتوسطية،⁽⁸⁷⁾ إلى جانب ما توصلت إليه من التفوق العلمي، وحسبنا دليلا على ذلك أن عدد من ترجم لهم الغبريني في عنوانه بلغ نحو مئة وإحدى عشر عالما مروا ببجاية أو استوطنوا بها، هذا دون حساب من وفد إليها بعد هذه الفترة أي: خلال القرنين 8 و9هـ، 14 و15م.



الهوامش

- 1- ابن خلدون: العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر، مج6، ط1، بيروت، لبنان، ص24.
- 2- بعزيق صالح: بجاية في عهد الحفصي: دراسة اقتصادية و اجتماعية، منشورات كلية العلوم الإنسانية و الاجتماعية، تونس، 2006، ص34.
- 3- مرمول كرنخال: إفريقيا، ج2، تر: محمد حجي وآخرون، دار المعارف للنشر والتوزيع، الرباط، المملكة المغربية، 1989، ص376.
- 4- إسماعيل العربي: بجاية من خلال النصوص الغربية، مجلة الأصالة، ع19، مطبعة البعث، قسنطينة، 1974، ص81.
- 5- حسن الوزان، ليون الإفريقي، وصف إفريقيا، ج2، ط1، تر محمد حجي محمد الأخضر، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، 1983، ص50، هـ2.
- 6- نفسه، ص50 ؛
- Mouloud Gaid: Histoire de Bejaia et de sa région depuis l'antiquité jus qu'ou, 1954 Ebid,p51
- 7- Mouloud Gaid: p56
- 8- بعزيق صالح: المرجع السابق، ص35.
- 9- يرى الباحث الجزائري مولود قايد أن اسم قور Gour يقصد به الجبل الصخري (أي جبل قوريا) ؛ بعزيق صالح: المرجع السابق، ص56.
- 10- بعزيق صالح: المرجع السابق، ص35.
- 11- أرجع أحد الباحثين ببطء النمو الديموغرافي والعمراني للمدينة بسبب تركيز الفاتحين الأوائل على المناطق الداخلية، بينما اتخذوا بعض المدن الساحلية على غرار بونة، تلمسان، سوسة كمراكز إشعاع للحضارة الإسلامية. ولم يفكروا في اختطاط مدن ضافية على طول الشريط الساحلي إلا بعد أن اكتسبوا خبرة الملاحة البحرية، حول هذا الموضوع يراجع: بعزيق صالح: المرجع السابق، ص38- 41.
- 12- ابن حوقل: صورة الأرض، دار المثنى، بدون تاريخ، ص77.
- 13- المغرب في ذكر بلد إفريقية والمغرب، مكتبة أمريكا والمشرق، فرنسا، 1965، ص82.

14- ورد في ديوان ابن خلدون إشارة إلى مدينة بجاية في معرض حديثه عن ثورة أبي يزيد بقوله: « وكتب أبو زيد البربر الذين حول مدينة قسنطينة من بني واسين وغيرهم فحاصروا توزر سنة 333هـ/933م ورحل إلى تبسة فدخلها صلحا ثم إلى بجاية كذلك ثم مراجعة وأهدوا له حمارا أشهب فلزم ركوبه حتى اشتهر به»، العبر، مج7، ص17.

15- موضع حيدران يقع بجهة قابس حسب رواية ابن خلدون، ورغم الانتصار الساحق الذي حققه العرب الهلالية على قوات المعز بن باديس في هذه المعركة إلا أنهم فضلوا إخضاع البلاد جزئيا، عملا بوصية مؤنس بن المرداسي الذي أشار عليهم بمسح البوادي والقرى أولا لعزل القيروان ثم الإجهاض على عاصمة ملك الزيريين فيما بعد، حول هذا الموضوع أنظر: ابن عذارى: البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب، ج1، ط3، تح: ج.س. كولان-ليفى بروفنسال، دار الثقافة، بيروت، لبنان، 1983، ص293؛ ابن خلدون: العبر، مج6، ص18؛ بعزيق صالح: المرجع السابق، ص44.

16- ربط ابن خلدون سبب هزيمة الناصر بن علناس (454-481هـ/1062-1088م) في معركة سيبة بدسيسة دبرها المعز بن باديس الذي خاف على دولته من الطموح العسكري للحماديين وتوسعهم لسيما بعد التفكك الذي تعرضت له عقب انتكاسة حيدران (443هـ)، وهو ما عبر عنه ابن خلدون بقوله: « لما تغلب العرب على القيروان وأسلم المعز وتحول إلى المهديّة اضطرمت إفريقية نارا واقتسمت العرب البلاد عمالات وامتنع كثير من البلاد على ملوك آل باديس مثل سوسة و صفاقص وقابس، وصارت صاغية أهل إفريقية إلى بني حماد ملوك القلعة، وانقطعت تونس عن ملك المعز ووفد مشيختها على الناصر بن علناس» أنظر: العبر، مج6، ص193-205.

17- ابن خلدون: العبر، مج6، ص24.

18- نفسه، مج6، ص24.

19- نفسه، مج6، ص24.

20- بعزيق صالح: المرجع السابق، ص55-56.

21- ابن خلدون: المصدر السابق، مج6، ص152.

22- نفسه، مج6، ص24.

23- ابن الأثير: الكامل في التاريخ، ج10، دار بيروت للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، 1982، ص46.

47؛ ابن خلدون: العبر، مج6، ص205؛ بعزيق صالح: المرجع السابق، ص55.



- 24- الإدريسي: المغرب العربي من كتاب نزهة المشتاق، تح: محمد حاج صادق. د.م.ج، بدون تاريخ، ص118.
- 25- بعزيق صالح: المرجع السابق، ص56.
- 26- المغرب: ص82.
- 27- ابن خلدون: العبر، ج6، ص206.
- 28- بعزيق صالح: المرجع السابق، ص57.
- 29- القلقشندي: صبح الأعشى في صناعة الإنشاء، ج5، نسخة مصورة عن المطبعة الأميرية، وزارة الثقافة والإرشاد: المؤسسة المصرية العامة للتأليف والترجمة والطباعة والترجمة، بدون تاريخ، ص109.
- 30- صورة الأرض: ص77.
- 31- الكامل في التاريخ، ص47-48.
- 32- ابن خلدون: العبر، مج6، ص152.
- 33- نفسه: المقدمة: ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، 200، ص270.
- 34- الغبريني: عنوان الدراية ضمن عرف من العلماء في المائة السابعة ببجاية، تح: رابح بونار، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1970، ص200، هـ1؛
- Dominique valarian: Bougie port magreben, Ecole de Rome, 2006, pp179- 180- 181- 182.
- 35- برنشفيك روبر: تاريخ إفريقية في العهد الحفصي، ج1، تر: حمادى الساحلي، ط1، دار الغرب الإسلامي، لبنان، 1988، ص417.
- 36- العبر، مج6، ص120.
- 37- ابن قنفذ: الفارسية في مبادئ الدولة الحفصية، تح: محمد الشاذلي النيفر و عبد المجيد الترقى، الدار التونسية للنشر، 1968، ص52.
- 38- الغبريني: المصدر السابق، ص136-138.
- 39- Jean moritot: L'Algerie kabyliisee edition aljahidhiya, 2001, Alger, p34.
- 40- يراجع حول هذه الدراسات بعزيق صالح: المرجع السابق، ص104.
- 41- نظم هذا الملتقى بتونس ما بين 25-26 فيفري، وقد نشرت أعمال الملتقى في بحث جماعي بعنوان "كتاب الديموغرافية في تونس والعالم العربي"، دار سراس للنشر، المعهد الأعلى للتربية والتكوين المستمر، تونس، 1993.
- 42- الغبريني: المصدر السابق، ص76؛ برنشفيك روبر: المرجع السابق، ج1، ص416.



- 43- بعزيق صالح: المرجع السابق، ص105.
- 44- وصف إفريقيا، ج2، ص50.
- 45- إفريقيا، ج2، ص377.
- 46- Mouloud Gaid, Epid, pp179- 180.
- 47- مولاي بلحميسي: بجاية في حدائق الكتب، الأصالة، ع19، ص103.
- 48- بعزيق صالح: المرجع السابق، ص107.
- 49- نفسه، ص108.
- 50- نفسه، ص108- 109.
- 51- إبراهيم جدلة: السكان الحضر بإفريقية من القرن الثالث عشر ميلادي إلى القرن السادس عشر ميلادي. منشور ضمن كتاب الديموغرافية التاريخية في تونس والعالم العربي، ص97.
- 52- نفسه، ص97.
- 53- وصف إفريقيا، ص7- 8- 9.
- 54- الغبريني: المصدر السابق، ص76.
- 55- نفسه، ص76.
- 56- نفسه، ص182.
- 57- نفسه، ص176.
- 58- وصف إفريقيا، ص7- 8.
- 59- نزهة المشتاق، ص116.
- 60- العبدري: الرحلة المغربية: تح أحمد بن جدو، مطبعة البعث، قسنطينة، الجزائر، بدون تاريخ، ص23.
- 61- خالد البلوي: تاج المفرق في تحلية علماء المشرق، ج1، تح: الحسن السائح، طبع تحت نفقة صندوق إحياء التراث الإسلامي بين حكومة المملكة المغربية وحكومة الإمارات العربية المتحدة، بدون تاريخ، ص153.
- 62- الغبريني: المصدر السابق، ص140- 161- 165- 169- 188- 281؛ ابن الحاج النميري: فيض العباب و إفاضة قدح لآداب في الحركة السعيدة إلى قسنطينة و التراب: دراسة و تحقيق محمد ابن شقرون ، ط1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، 1990، ص267؛ ابن خلدون: العبر، مج6، ص206.
- 63- نفسه، ص72- 75- 77- 81- 82- 88- 101- 102- 165- 172- 182- 188- 245- 254.
- 64- نفسه، ص72- 81- 182- 188.
- 65- نظر بعزيق صالح: المرجع السابق، ص114.



- 66- الإدريسي: المصدر السابق، ص 116 ؛ مؤلف مجهول: الاستبصار، نشره إسماعيل العربي ضمن كتاب المدن المغربية، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1984، ص 320.
- 67- المراكشي، المعجب في تلخيص أخبار المغرب، تح: محمد سعيد العريان، المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية نخبة إحياء التراث الإسلامي، القاهرة، 1963، ص 252-253-254 ؛ القلقشندي: المصدر السابق، ج 5، ص 99-112 ؛ حسن الوزان: ج 2، ص 49.
- 68- بعزيق صالح: المرجع السابق، ص 158-159.
- 69- المراكشي: المصدر السابق، ص 252.
- 70- نفسه، ص 162-163.
- 71- نزهة المشتاق، ص 116.
- 72- ابن بطوطة: تحفة الأنظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار، ج 1، دار النفيس، القبة، الجزائر، بدون تاريخ، ص 4.
- 73- صبح الأعشى: ج 5، ص 108.
- 74- وصف إفريقيا، ص 169.
- 75- حسن الوزان: نفس المصدر، ج 2، ص 176.
- 76- نفسه، ص 170.
- 77- المقدمة، ص 312.
- 78- صورة الأرض، ص 96.
- 79- الفندق: هو المبنى الذي يحيط بفناء واسع ويحتوي على طابقين سفلي وعلوي، هذا الأخير يخصص لاستقبال الوافدين على المدينة سواء من التجار أو من أهل البادية، فبينما يخصص الجزء السفلي لحزن البضائع والمواد النفيسة، وقد ورد اسم الفندق في كتاب "التشوف" لابن الزيات، ذكر ذلك في معرض حديثه عن دور أبي زكريا يحيى الزواوي إثر المجاعة التي اجتاحت بجاية، إذ رصد لنا نشاطه الخيري في القيام بأمر الفقراء والمحتاجين فكان يطوف بشوارع المدينة وكلما مر بأحدهم إلا وأشار عليه بضرورة الالتحاق بالفندق الفلاني، فالصياغة اللفظية لهذه العبارة توحي بأن بجاية توفرت على عدد لا بأس به من الفنادق التي توسعت وظائفها فيما بعد لتكون مقر إقامة لقناصل الدول التي ترتبط بمعاهدات تجارية مع بجاية. انظر: التشوف إلى رجال التصوف: تح: أحمد التوفيق، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية، الرباط، المملكة المغربية، 1984، ص 429 ؛ الغبريني: المصدر السابق، ص 135، هـ 1 ؛ بعزيق صالح: المرجع السابق، ص 234-235 ؛ القادري بوتشيش: إضاءات حول تراث الغرب الإسلامي وتاريخه الاقتصادي والاجتماعي، ص 101.



- 80- أشار الغبريني في عنوانه بأن بجاية كانت بلد غزا، وأن سفن غزاتها يلجون إلى دواخل الجزر الرومانية ويعودون بالسبي الكثير: عنون الدراية، ص 76.
- 81- أجمعت المصادر الجغرافية أن منطقة غانة ومملكة يورنو كانت إحدى مصادر معدن الذهب الذي يرد إلى بجاية. أنظر: ابن حوقل: صورة الأرض، ص 98 ؛ حسن الوزان: المصدر السابق، ص 165.
- 82- يعزيق صالح: المرجع السابق، ص 342-343-344-345.
- 83- وصف إفريقيا، ج 2، ص 169.
- 84- الغبريني: المصدر السابق، ص 135-141-169-182-200-226-268-307.
- 85- المعيار و جامع المغرب عند فتاوى علماء إفريقية و الأندلس و المغرب، ج 1، خرجه مجموعة من الفقهاء بإشراف محمد حجي، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، بدون تاريخ، ص 131-183-126-191.
- ج 4، ص 490، ج 5، ص 331-332، ج 6، ص 100، ج 9، ص 310، ج 11، ص 392.
- 86- الإدريسي: المصدر السابق، ص 116-118 ؛ مؤلف مجهول: الاستبصار، نشره إسماعيل العربي ضمن كتاب المدن المغربية، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1984، ص 320.
- 87- مارمول كرنخال: ج 2، ص 377 ؛ يعزيق صالح: ص 151 وما بعدها ؛

Dominique valerian, Epid, p181



المصادر والمراجع:

أ- المصادر:

- 1- ابن الأثير: الكامل في التاريخ، ج10، دار بيروت للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، 1982.
- 2- ابن الحاج النسيري: فيض العباب و إفاضة قدح لآداب في الحركة السعيدة إلى قسنطينة والزاب: دراسة و تحقيق محمد ابن شقرون ، ط1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، 1990.
- 3- ابن حوقل: صورة الأرض، دار المثنى، بدون تاريخ.
- 4- ابن خلدون:
- العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر، مج6، ط1، بيروت، لبنان، 1992.
- المقدمة: ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، 2000.
- 5- ابن عذارى: البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب، ط3، تح: ج.س. كولان-ليفي بروفنسال، دار الثقافة، بيروت، لبنان، 1983.
- 6- ابن قنفذ: الفارسية في مبادئ الدولة الحفصية، تح: محمد الشاذلي النيفر و عبد المجيد الترقى، الدار التونسية للنشر، 1968.
- 7- الإدريسي: المغرب العربي من كتاب نزهة المشتاق، تح: محمد حاج صادق. د.م.ج، بدون تاريخ.
- 8- البكري: المغرب في ذكر بلد إفريقية والمغرب، مكتبة أمريكا والمشرق، فرنسا، 1965.
- 9- التادلي: التشوف إلى رجال التصوف: تح: أحمد التوفيق، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية، الرباط، المملكة المغربية، 1984.
- 10- حسن الوزان، ليون الإفريقي، وصف إفريقيا، ج1، ط1، تر محمد حجي محمد الأخضر، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، 1983.
- 11- خالد البلوي: تاج المشرق في تحلية علماء المشرق، ج1، تح: الحسن السائح، طبع تحت نفقة صندوق إحياء التراث الإسلامي بين حكومة المملكة المغربية وحكومة الإمارات العربية المتحدة، بدون تاريخ.
- 12- العبدري: الرحلة المغربية: تح: أحمد بن جدو، مطبعة البعث، قسنطينة، الجزائر، بدون تاريخ.
- 13- الغبريني: عنوان الدراية ضمن عرف من العلماء في المائة السابعة ببجاية، تح: رابع بونار، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1970.



- 14-القلقشندي: صبح الأعشى في صناعة الأنشاء، ج 5، نسخة مصورة عن المطبعة الأميرية، وزارة الثقافة والإرشاد: المؤسسة المصرية العامة للتأليف والترجمة، للطباعة والترجمة، بدون تاريخ.
- 15-مؤلف مجهول: الإستبصار، نشره إسماعيل العربي ضمن كتاب المدن المغربية، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1984.
- 16-مارمول كرنخال: إفريقيا، ج 2، تر: محمد حجي وآخرون، دار المعارف للنشر والتوزيع، الرباط، المملكة المغربية، 1989.
- 17-المراكشي: المعجب في تلخيص أخبار المغرب، تح: محمد سعيد العريان، المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية نخبة إحياء التراث الإسلامي، القاهرة، 1963.
- 18-الونشريسي: المعيار المغرب و جامع المغرب عند فتاوى علماء إفريقية و الأندلس و المغرب، ج 5، خرجه مجموعة من الفقهاء بإشراف محمد حجي، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، بدون تاريخ.

ب- المراجع العربية

- 1-إبراهيم جدلة: السكان الحضر بإفريقية من القرن الثالث عشر ميلادي إلى القرن السادس عشر ميلادي، منشور ضمن كتاب الديموغرافية التاريخية في تونس والعالم العربي.
- 2-إسماعيل العربي: بجاية من خلال النصوص الغربية، مجلة الأصالة، ع 19، مطبعة البعث، قسنطينة، 1974.
- 3-برنشفيك رويار: تاريخ إفريقية في العهد الحفصي، ج 1، تر: حمادي الساحلي، ط 1، دار الغرب الإسلامي، لبنان، 1988.
- 4-بعزيق صالح: بجاية في عهد الحفصي: دراسة اقتصادية و اجتماعية، منشورات كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، تونس، 2006.
- 5-مولاي بلحميسي: بجاية في حداثك الكتب، الأصالة، ع 19، مطبعة البعث، قسنطينة، 1974.

ج- المراجع الأجنبية:

- 1-Dominique valérian: Bougie port magrebin, Ecole de Rome, 2006
- 2-Jean moritot: L'Algérie kabyliisee édition aljahidhiya, 2001, Alger
- 3-Mouloud Gaid: Histoire de BEJAIA et de sa région depuis l'antiquité jusqu'ou, 1954.

﴿ إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَى مِنْ
الْمُؤْمِنِينَ أَنْفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ ﴾

التوبة: 111
